ان الذين يمشون الى جهنم حال كونهم مغلوبين وجوههم الى القفا وارجلهم الى
فوق وقد روى ذلك عنه عم فانه قد ورد في الاخبار ان رجلا قال يا
نبي كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة قال ان الذي امشاه على رجليه
قادر ان يمشيه على وجهه وعلى الثاني الذين يحشرون اليها حال كونهم مسحوبين
اى مجرورين على وجوههم وما ذكر من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر في اعراب
الذين ثلثة اوجه ان يكون منصوبا على الذم بتقدير اعني ومرفوعا على الذم اى على
انه خبر مبتدا محذوف اى هم الذين وان يكون مبتدا خبره اولئك شر مكانا
اى منزلا ومصيرا واضل سبيلا اى اخطاء دينا وطريقا قوله والمفضل عليه
هو الرسول اشارة الى ان الاية متصلة بقوله ولا ياتونك بمثل فان المقصود
من اتيان ما هو كالمثل في البطلان تحقير منزلته ومعناه قوله ثم من لعنه الله و
غضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل
عن سواء السبيل فاسلوب الايتين واحد قوله وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة
خير من حيث ان ذلك في بيان اهل الجنة وحسن حالهم وهذا في صفة اهل النار و
سوء مصيرهم ولم يرض به لان تقسيم اهل الجنة قد ذكر قبل ذلك ثم انه تعالى لما ذكر
قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرفه
ما جرى لهم من اممهم تسلية له عم وابعادا لقومه كانه قيل لست اول نبي كذب
بل ارسلنا قبلك انبياء مؤيدين بالايات ثم دمرنا مكذبيهم فقال ولقد اتينا موسى
الكتاب الاية قوله الزجاج الوزير في اللغة الذي يرجع اليه ويعمل برأيه ومحصله
به والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر اى لا منجا ولا ملجا وقيل ولذلك لا يوصف تعالى بانه
له وزيرا ولا بانه وزير لان الالتجاء اليه في المشاورة والرأي على هذا الحد لا يتصور
فلا وزر وان يتناول كون هرون وزيرا كالمنافي لكونه شريكا له في النبوة لانه صار شريكا له
خرج عن كونه وزيرا اجاب عنه بقوله ولا ينافي ذلك مشاركته قوله والتعقيب جواب
عما يقال ان في قوله فدمرناهم للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون
بل بعده مدة مديدة والجواب ان فاء التعقيب محمولة هنا على الحكم بالاهلاك لا على الوقوع
قوله وقوم نوح فدمرتهم يعني لنا لغاية قرى فدمرتهم فعلا ماضيا على بناء المتكلم المعظم معطوفا
على محذوف اى فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اى اهلكناهم اهلاكا وقراءة علي رضي الله عنه

٥٩٦

عنه فدمرناهم امرا لموسى وهرون عليهما السلام وعنه ايضا فدمرانهم كذلك ايضا ولكنه
بالنون الثقيلة وعنه ايضا فدمرا بهم بزيادة الباء الجارة بعد فعل الامر وهي تشبه
القراءة التي قبلها في الخط قوله وقوم نوح يجوز ان يكون منصوبا عطفا على
مفعول دمرناهم وان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله اغرقناهم ويرجح
هذا تقدم جملة فعلية ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال
اى اذكر قوم نوح قوله ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل فيه لان تكذيب
الواحد منهم لا يمكن الا بالقدح في المعجز وذلك يقتضي تكذيب الكل ولانهم متفقون في
اصول الدين فمن كذب واحدا في شيء من ذلك فقد كذب الكل فيه قوله كالبراهمة
فانهم قوم من الهند منسوبون الى واحد منهم اسمه برهام ينكرون لكل الرسل ونعتهم
قوله عطف على هم لم يتعرض لكونه معطوفا على قوم نوح لظهوره ومن صرف ثمود
اوله بالحي دون القبيلة قوله مروا مرارا اكثر المرور ولا يعتبرون من هذه الاية ولعله
اخذه في قوله تعالى في سورة الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون
وفسر الاتيان بالمرور للاشارة الى وجه تعديته الى القرية بكلمة على فانه يتعدى بنفسه وبكلمة
الى الا انه عدى بعلى لتضمنه معنى مروا قوله مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا
على حذف الزوائد وان يكون نعت مصدر محذوف اى امطارا مثل مطر السوء واضيف
المطر الى صفته لتدل على اختصاصه بها وانه ليس له صفة غيرها قوله يعني سدوم
عن الليث انه بالدال المهملة وقيل انه بالذال المعجمة قيل اراد بها عين القرية كانت قرى قوم لوط
خمسا اهلك الله تعالى منها اربعا باهلها وبقيت واحدة اهلك الله اهلها وهي سدوم قال
الله تعالى في حقهم التي امطرت مطر السوء قيل كل حجر قتل انسانا وقيل كان ذلك في دفع حاصب
وهذا العذاب انما نزل بهم عقوبة على عصيانهم نبيهم لوط وتكذيبهم اياه فكان ينبغي لكفار
قريش ان يتعظوا بما راوا مما حل بهؤلاء فيمتنعوا عن مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويلتزموا طاعته ولذلك وبخ الله تعالى عليهم بقوله افلم يكونوا يرونها ثم انتقل عنه الى التوبيخ
بوجه اخر وهو انهم كفرة لا يرجون البعث بعد الموت وهو عاقبة الموت ولما كان حقيقة
الرجاء انتظار الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس النشور خيرا مؤديا الى المسرة
في حق الكافر فلا يتصور نسبة رجاء النشور الى الكافر حتى يصح ايقاعها او انتزاعها احتيج الى توجيه
قوله تعالى لا يرجون نشورا فذكر ثلثة اوجه الاول ان الرجاء مجاز عن التوقع يستعمل في الخير
والشر جميعا فامكن ان يتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور فيحكم بوقوعها او بلا وقوعها

Copyright © King Saud University